

اسم المادة: ١٥- موقف أهل السنة من مسألة التكفير

من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: ١٥- موقف أهل السنة من مسألة التكفير
من سلسلة: شرح كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

الحمد لله –تعالى– القائل في كتابه الكريم: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" الزمر:٥٣. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه.

وبعد؛

مرحباً بكم أيها الإخوة والأخوات، وهذا لقاؤنا الخامس عشر، في قراءة كتاب الوجيز في عقيدة أهل السنة والجماعة، لمؤلفه الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري.

واليوم موعدنا مع موقف أهل السنة والجماعة من مسألة التكفير.

فمن أصول عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، أنهم لا يكفرون أحداً بعينه من المسلمين ارتكب مُكفِّرًا، إلا بعد إقامة الحجة التي يكفر تاركها، فتتوفر فيه الشروط، زي شرط إن هو عالم إن ده كفر، وشرط أنه مختار أن يأتي هذا الكفر، وشرط أنه ليس متأولاً، إلى آخر هذا الكلام، وتنتفي الموانع، أنه لا يكون مُكرهاً، لا يكون جاهلاً بما يقول، لا يكون متأولاً، وهكذا، وتزول الشبهة عن الجاهل والمتأول، ومعلوم أن ذلك يكون في الأمور الخفية التي تحتاج إلى كشف وبيان، بخلاف الأشياء الظاهرة مثل جحد وجود الله، أن يقول ربنا غير موجود ده مش محتاجين أصلاً نقيم عليه بينة، فهذا قد كفّر نفسه بمجرد هذا القول، أو تكذيب الرسول –عليه الصلاة والسلام– تكذيباً مجملاً، وجحد عموم رسالته وختمه للنبوة، وغيرها من الأمور المعلومة بالضرورة، ومنه طبعاً سب الدين، الذي يقوله الناس ولا يعقلون أن هذا مُخرج من الملة بإجماع أهل العلم، الذي يسب الله –سبحانه وتعالى– ويسب دينه –عز وجل– هذا يكفر ولا يحتاج إلى إقامة بينة عليه، لأنه معلوم، إذا كان السب للآباء والأمهات هذا ينفر له الناس، ولا تهدأ ثائرتهم حتى ينتقموا إن استطاعوا، أو يقتصوا ممن سبهم آبائهم وأمهاتهم، فكيف بسب الله أو سب دينه –عز وجل–؟

قال الله –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا" النساء:٤٨.

فهم لا يُكفرون المُكرَه، الذي أُكرِه على قول الكفر أو فعل الكفر، لا يُكفره أهل العلم، إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، بل لا يُكفرون أحداً من المسلمين بكل ذنب، ولو كان من أكبر الكبائر التي هي دون الشرك، فلا يحكمون عليهم بالكفر لمجرد الفعل، وإنما يحكمون عليهم بالفسق ونقص الإيمان، ما لم يستحل ذنبه كما مر.

وإذا مات العبد على الذنب دون الشرك، لم يستحله، فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، خلافاً للفرق الضالة التي تحكم على مرتكب الكبيرة بالكفر زي الخوارج، أو بالمنزلة بين المنزلتين وهم طائفة المعتزلة، أن هم مرتكب الكبيرة عندهم نقول لهم مؤمن؟ يقولون: ليس



مؤمن، عشان هو بيرتكب الكبيرة، طب كافر؟ يقولون: ليس هو كافر عشان هو بيدعي الإيمان، طب إيه يا جماعة؟ قالوا احنا حطناه في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، طب في الآخرة هيبقى حكمه عندكم إيه؟ قالوا كافر، يعني استووا مع الخوارج، وهذه بدعة ضلالة من الخوارج، وهذه أيضاً بدعة ضلالة من المعتزلة، والحق بينهما.

قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَيُّما امْرِئٍ قالَ لأَخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما، إنْ كانَ كما قالَ، وإلَّا رَجَعَتْ عليه"[1]. فإطلاق كلمة أنت كافر هذه جريمة عظيمة، ما ينبغي أن يفعلها الناس، ولا أن يستهتروا بها ولا أن يقولوها هكذا.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ دَعَا رجلًا بِالْكُفرِ، أو قال عدُوَّ اللهِ؛ وليسَ كذلِكَ، إلَّا حارَ عليْهِ"[2]، أي رجع عليه.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بالفُسُوقِ، ولا يَرْمِيهِ بالكُفْرِ، إلَّا ارْتَدَّتْ عليه إنْ لَمْ يَكُنْ صاحِبُهُ كَذلكَ"[3].

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ومَن رَمَى مُؤْمِنًا بكُفْرٍ فَهو كَقَتْلِهِ"[4].

وأهل السنة أيضاً يفرقون بين الحكم المطلق إذا جاء في الكتاب أو السنة من فعل كذا فهو كافر، فيطلقون ويعممون، أما فلان بعينه الذي قال هذه المقالة، أو فعل هذا الشيء، هل هو كافر ولا لا؟ لازم نرجع لحصول الشروط، وانتفاء الموانع، فهُم أحرص الناس على ألا يضعوا الكفر إلا في مكانه.

والناس في مسألة الحكم بالكفر فيه طائفتين ضلتا في هذا:

– طائفة لا تكاد تُكفر أحداً حتى إبليس وفرعون وأبو لهب وكذا، وهذا لا نشغل نفسنا بهم.

– وطائفة أخرى غلت في أحكام الكفر، حتى أدخلوا المعاصي والكبائر، وما لا يستحسنونه بأهوائهم، فجعلوه من الكفر.

والحق بينهما، إن الكفر ده زي أي حكم شرعي، زي ما حكم الإيمان، فيه حكم الكفر، وعن أبي هريرة –رضي الله– عنه قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "كانَا رجلانِ في بني إسرائيلَ مُتواخيين –بينهما صداقة– فكانَ أحدُهما يذنِبُ والآخَرُ مجتهِدٌ في العبادةِ فكانَ لا يزالُ المُجتهدُ يرى الآخرَ على الذَّنبِ فيقولُ أقصِر –يعني اكتفي بهذا– فوجدَهُ يومًا على ذنبٍ فقالَ لهُ أقصِر فقالَ خلِّني وربِّي أبُعثتَ عليَّ رقيبًا فقالَ واللَّهِ لا يغفرُ اللَّهُ لكَ أو لا يدخلُكَ اللَّهُ الجنَّةَ –عياذًا بالله– فقبضَ أرواحَهما فاجتمعا عندَ ربِّ العالمينَ فقالَ لهذا المُجتهدِ أكنتَ بي عالِمًا أو كنتَ على ما في يدي قادِرًا وقالَ للمذنبِ اذهب فادخلِ الجنَّةَ برحمتي وقالَ للآخرِ اذهبوا بهِ إلى النَّارِ"[5].

فده كلمة عظيمة لأن فيها إساءة أدب في جانب الألوهية والربوبية لله –سبحانه وتعالى– من الذي يملك المغفرة؟ هو الله، من الذي يملك الجنة؟ هو الله، من الذي يملك إدخال النار؟ هو الله، فلا يحل لأحد أن يتألى على الله، ويقول هذه الكلمة. قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده ما تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، يعني أهلكت سعيه.

وأهل السنة كما ذكرنا أعظم الناس ورعاً في التكفير، لأن تكفير المسلم مسألة خطيرة جداً ويترتب عليها آثار عظيمة، هو مش مجرد إن هو بيقول كافر يبقى خلاص، لا ده الكافر ده هيبقى حلال الدم، إذا مات لا يورث، ولا نغسله، ولا نكفنه، ولا نصلي عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وهلم جرا من الأحكام.

---

[1] صحيح مسلم

[2] صحيح الجامع

[3] صحيح البخاري

[4] صحيح البخاري

[5] أخرجه أبو داود وأحمد

من ثبت إسلامه بيقين، لا يزول بشك، لازم برضه اللي كان مسلم بيقين ده حينما يخرج من الإسلام يخرج بيقين، يبقى مفيش شبهة في خروجه من الإسلام.

كذلك أيضاً أهل السنة والجماعة يحكمون على الناس بما ظهر لهم، فمن أظهر صلاحاً وإسلاماً وإيمانًا، صدقوه، ووكلوا سريرته إلى الله –سبحانه وتعالى– ومن أظهر لهم كفراً، فيتعاملون على أنه كافر، وإن كان بينه وبين الله مسلماً، فأحياناً يقول لك إن فيه قسس كتير مثلاً مسلمين بس بينهم وبين ربهم، وبيخافوا، فخلاص بس احنا دلوقتي لا نستطيع أن نعاملهم إلا إنهم غير مسلمين، وهكذا، فهذا أصل مُضطرد عندهم.

ومع هذا الورع العظيم، فإنهم لا يترددون مطلقاً في إطلاق التكفير على من كفره الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، لأن النصوص الشرعية دلت على جواز تكفير من ارتكب عملاً أو قولاً مكفراً، بل جعلوا تكفير الكافر من أصولهم، فقالوا: من لم يكفر الكافر –اللي هو ثابت كفره بيقين– فهذا كافر أصلاً، يعني اللي ييجي يقول أبو لهب ده كان مسلم، أو فرعون ده هيدخل الجنة مع موسى –عليه السلام–، فهذا كافر أصلاً، لأنه لم يُكفر الكافر المقطوع بكفره.

واحنا عندنا الكفر في الشرع صنفان:

– كفار أصليون: يعني لم يدخلوا في الإسلام، زي الدهريين، الفلاسفة المشركين، المجوس، كفار اليهود والنصارى، عباد الأوثان، كل هذا.

– والصنف الثاني: مرتدون، يعني كانوا من أهل الإسلام وبعدين ارتدوا عن الإسلام، زي الناس الباطنية مثلاً، زي غُلاة الرافضة، زي القديانية والبهائية والبابية، اللي آمنوا برسل من البشر، وكفروا برسالة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ومن أصول أهل السنة والجماعة أنه من الممكن أن يجتمع في العبد الإيمان وبعض شُعَب الكفر أو النفاق، التي لا تنافي أصل الإيمان وحقيقته، فالكفر ذو أصول وشُعَب متفاوتة، منها ما يوجب الخروج من الملة ومنها ما لا يوجب ذلك.

فالكفر عند أهل السنة والجماعة أيضاً قسمان:

الأول: كفر أكبر مُخرج من الملة، وهو ما يناقض الإيمان، ويُبطل الإسلام، ويوجب الخلود في النار، ويكون بالاعتقاد وبالقول والفعل والشك والترك والإعراض والاستكبار، فلذلك أنواع الكفر الأكبر كثيرة، فمنها:

– كفر الإنكار والجحود والتكذيب، مثل اعتقاد كَذب الرسل، وأن إخبارهم عن الحق بخلاف الواقع، قال الله –تعالى–: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ" العنكبوت:٦٨.

– وفيه كفر الإباء والاستكبار –التعالي يعني– مع التصديق، فهو عدم الانقياد والإذعان لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– ظاهراً، مع العلم به ومعرفته باطناً، وذلك بأن يُقر –يعني يعترف– بأن ما جاء به الرسول حق من ربه، لكنه يرفض اتباعه استكبارا وأشراً وبطراً، ككفر إبليس، فهو لم يجحد أمر الله ولم ينكره، ولكنه قابله بالإباء والاستكبار، "قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ" الشعراء:١١١.

– وهناك كفر الإعراض، بأن يُعرض بسمعه وقلبه، عما جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فدا اسمه كفر الإعراض.

قال الله –تعالى–: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ" الأحقاف:٣.

– وهناك كفر الشك، بألا يجزم بصدق النبي –صلى الله عليه وسلم– ولا بكذبه، يقول والله أنا محتار في المسألة دي، لا قادر أصدقه ولا قادر أكذبه، فهذا هو كفر الشك، كما قال الله –تعالى–: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ" إبراهيم:٩.



– كذلك كفر النفاق، إن هو بيظهر الإسلام والخير، ثم هو يبطن الكفر، كما كان حال المنافقين زمان النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال الله –تعالى–: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ" البقرة:٨، مجرد دعوة، وكما في سورة المنافقين، "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ" المنافقون:١، في هذه الدعوة، ما كانوش مصدقين الرسول –عليه الصلاة والسلام–، عندهم نفاق اللي هو النفاق الأكبر، لأن فيه نفاق أصغر، لا يُخرج من الملة، كقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "آيَةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ"[٦]، وإن كانت هذه الأشياء كبائر، لكنها لا تُخرج العبد من الإيمان، لكن اللي مش مصدق بالرسول –عليه الصلاة والسلام– وبيجحد الرسالة، فهذا لا شك في كفره.

– وهناك كفر السب والاستهزاء والسخرية، زي سب الدين وسب الرسول، وسب الله –سبحانه وتعالى–، وهكذا، قال الله –تعالى–: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ" التوبة٦٥:٦٦.

– وهناك كفر البُغض، اللي هو الكره، يكره دين الإسلام، أو شيء من أحكامه، أو شيء من شرع الله، أو مما أنزل، أو يكره نبي الإسلام –صلى الله عليه وسلم– أو ما جاء به، فهذا البغض والكره منافي للإيمان، ويُخرج العبد من ملة الإسلام إن كان مسلماً، قال الله –تعالى–: "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ" محمد:٩.

يبقى ده كله اسمه الكفر الأكبر، اللي هو المخرج من الملة إن كان الإنسان مسلماً، وإن مات عليه يوجب له الخلود في النار، ويحرمه تماماً من دخول الجنة، "وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" المائدة:٧٢.

النوع الثاني: كفر أصغر، أو شرك أصغر، هذا لا يُخرج من الملة، لأنه لا يناقض أصلا الإيمان بالكلية، مابيزيلش الإيمان بالكلية، لكن بينقصه؟ أيوه بينقص من الإيمان، فإذا كذب الإنسان مثلاً، إذا فعل معصية، إذا ترك واجب، فهذا كله يُنقص من الإيمان، لكنه لا يخرج من الملة، زي كفر النعمة، إنسان ربنا أعطى له المال فبيتبطر في هذا المال، أو زي قتال المسلم مثلاً، زي الحلف بغير الله –تعالى–، الناس اللي بتحلف والنبي، والرسول، وحياة أبي، وحياة فلان، والأمانة، والذمة، وحياة الشيخ فلان، والنعمة، كل ده من الحلف بغير الله، ومن حلف بغير الله فقد أشرك، أشرك يعني معناها كفر وخرج من الملة؟ لا، ده من الشرك الأصغر، الذي لا يُخرج من الملة، وإن كان هو ممكن يبقى أعظم من الكبائر، لأن كون إن هو بيُسمى كفر أو شرك ده أمر عظيم.

قال الله –تعالى– في قتال أهل الإيمان: "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا" الحجرات:٩.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "سِبابُ المسلِمِ فسوقٌ، وقِتالُه كفرٌ"[٧].

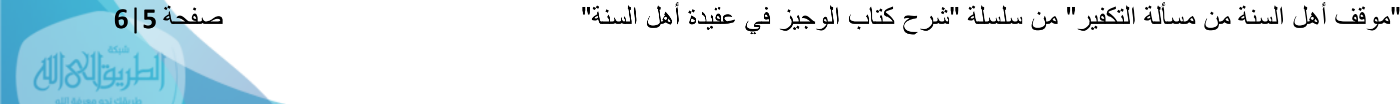
وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– للصحابة في حجة الوداع: "لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"[٨].

وقال: "مَن حلفَ بغيرِ اللَّهِ فقد كفرَ أو أشرَكَ"[٩].

وقال: "اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ: الطعنُ في الأنسابِ، والنِّياحةُ على الميِّتِ"[١٠]، النياحة اللي هو لطم الخدود، وشق الجيوب، والكلام بما ينافي ما يجب على الإنسان من الصبر عند نزول المصيبة، وهذا الكلام يدلنا على أن أهل السنة والجماعة ورؤساؤهم من أهل العلم الراسخين

---

[٦] صحيح البخاري
[٧] صحيح النسائي
[٨] صحيح البخاري
[٩] صحيح الترمذي
[١٠] رواه مسلم



فيه، كانوا يدورون مع نصوص الكتاب والسنة، ولا يتجرؤون على خوض أمورٍ تُنافي الكتاب العزيز أو سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولذلك كانوا دائمًا ولله الحمد على الهدى وعلى الطريق المستقيم.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يثبتنا وإياكم على هذه العقيدة المباركة، حتى نلقى الله –سبحانه وتعالى– عليها، ويكون إمامنا فيها نبينا –صلى الله عليه وسلم–، ومن تبعه بإحسان من أصحابه، والهداة المهديين إلى يوم الدين.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وإلى أن نلتقي بمشيئة الله –عز وجل–، نستكمل هذه الرحلة المباركة مع كتاب الوجيز في عقيدة السلف الصالح، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

